## قيادة المنطقة الجنوبية انهت مناورتها.. والسيناريو عبارة عن تصعيد يؤدي لاجتياح بري كبير للقطاع

# شوارع غزة تبدو كحرب المافيا في صقلية.. وسعدات يحتفظ بصمته خلال التحقيق

اطفال غزة يتجمعون حول شرطي امن تابع لحركة حماس قبيل اصدار الاوامر بسحبهم من الشوارع الجمعة

### 1 . قوانين الشارع

كل شيء شخصي. عدد الاغتيالات التي سجلت في المنطقة في السنوات الأخيرة وأملت تطورات سياسية وعسكرية واسعة التأثير في أكثر من مرة، لم يكن ليخجل أكثر حروب المافيا دموية. رؤساء الحكومات في الخدمة وما بعدها، قادة روحانيون، وزراء ورؤساء منظمات ارهابية ـ كلهم سقطوا ضحية لهذه الاغتيالات التي تتم بوسائل كثيرة.

الاغتيالات عادت الى الساحة، بما في ذلك في غزة ايضا خلال الاسابيع الأخيرة، ولكن على خلفية فلسطينية داخلية في هذه المرة. طارق أبو رجب، الرجل القوي في اجهزة الأمن التابعة للسلطة في غزة، نُقل الى مستشفى أخيلوف للمرة الثانية من جراء محاولة الاغتيال الثالثة التي يتعرض لها خلال سنة. نظيره رشيد أبو شباك نجا في هذا الاسبوع بصعوبة من مصير مشابه. وفي يوم الاربعاء قُتل مسؤول بارز في الأمن الوقائي. في غزة سارعوا الى تهدئة الخواطر: ما حدث هو «حادثة عمل» وليس عملية اغتيال. ولكن السؤال بقي: ما الذي يفعله مسؤول من الأمن الوقائي بوجود عبوة على متن سيارته. كانت هذه بالتأكيد تحضيرات للقيام بعمليات انتقامية من فتح ضد حماس.

المراقبون الاسرائيليون أجمعوا في هذا الاسبوع على أن فتح ستكون ملزمة بالرد على موجة التصفيات التي نفذتها حماس إن عاجلا أو آجلا. لا مفر أمامها إلا أن تفعل ذلك وفقا لقانون الشارع. اذا ضبطت الاجهزة التابعة لأبو مازن نفسها، فان قدرتها الردعية في مواجهة حماس ستضعف وسيُباح دم مسؤولين آخرين. في المناطق بدأوا يتحدثون عن قائمة تصفيات يقف على رأسها كل من محمود عباس ومحمد دحلان. ميزان القوى في القطاع متعادل. اغلبية الجمهور تؤيد حماس، إلا أن فتح تملك كمية أكبر من الاسلحة وعشرات آلاف المسلحين. مصدر أمني اسرائيلي يقول إن الأنباء حول تشكيل حكومة حماس بالكاد تصل الى مستوى الاشاعة. حماس لا تنجح في فرض ارادتها على الاجهزة الحكومية. وزراؤها لا يتجرأون على التجول في مخيمات اللاجئين وفي معاقل فتح خشية على أرواحهم.

ليست هناك حرب أهلية، «فتنة» بعد. الخوف من تحطيم هذا الطابو مغروس عميقا في الوعي الفلسطيني في كلا الجانبين. ولكن هناك من يتحدثون الآن عن «فتنة صغرى». في كل يوم تحدث صدامات عنيفة في القطاع. منذ أواسط أيار قُتل أكثر من عشرة اشخاص، أمس شرعت حماس وفتح في «حوار وطني» من اجل تسوية القضايا الخلافية. التوقعات متدنية. في أحسن الاحوال قد يؤجل هذا الحوار انتقام فتح الى ما بعد حين.

في جهاز تنسيق العمليات في المناطق يعتبرون ان الوضع الاقتصادي في غزة يعاني ركودا صعبا، ولكن ليس الى مستوى الجوع. البضائع موجودة، إلا أن المال غير متوفر. في أواخر آذار (مارس)، مع اقامة حكومة حماس، أوقفت اسرائيل خروج خمسة آلاف عامل غزاوي الى سوق العمل الاسرائيلية. هذا القرار كان ضربة مباشرة لمصدر رزق أربعين ألف نسمة. ايقاف الصادرات الزراعية عبر معبر كارني، الذي استؤنف جزئيا في هذا الاسبوع، ألحق ضررا جسيما بالاقتصاد الغزاوي، الذي يرتكز 11 في المئة منه على الزراعة. المزارعون لا يملكون الآن مالا للزراعة في الموسم القادم، أي أن الضرر أصبح بعيد المدى.

على طاولة رئيس هيئة الاركان ووزير الدفاع ستوضع عما قريب توصيات تخفيف الحصار وفتح معبر كارني بصورة منتظمة والسماح بدخول عدد محدود من العمال الى اسرائيل. اسرائيل تريد أن توصل للغزاويين رسالة في ظل مصادمات فتح وحماس بأنها ليست ضدهم، وأنها لا تريد أن تزيدها صعوبة فوق الصعوبة التي يعانون منها داخليا، الصراع هو مع حكومة حماس وليس مع الغزاويين.

ربما يمكن اعتبار هذه الأمور صحوة اولى من الوهم الاسرائيلي بامكانية إملاء تغيير الحكم في السلطة. الجهات الاستخبارية تعرف ما يسعى السياسيون والجنرالات الى كبته واستبعاده. هامش المناورة في مواجهة السلطة صغير جدا. اسرائيل لم تنجح أبدا في دفع الفلسطينيين الى اختيار زعيم لهم وفق رغباتها هي، وقبول تسويات سياسية مقترحة من قبلها أو التنازل كليا عن الارهاب كسلاح في الصراع. مساعيها في هذا الاطار تسببت في احيان كثيرة بنتائج معاكسة. وهل هناك حاجة للتذكير في هذا السياق بالطريقة التي صعدت فيها حماس الى الحكم؟.

### 2 . آخر هندي أحمر

ابراهيم حامد، عضو حماس الذي اعتقل في يوم الثلاثاء الماضي صباحا من قبل «الشاباك» والوحدات الخاصة في رام الله، كان واحدا من آخر عضوين في نادي المطلوبين القدامى في المناطق. أقرانه كانوا قد أُخرجوا من القائمة منذ مدة طويلة. «المهندس» يحيى عياش الذي هرب من الضفة الى غزة وقُتل هناك بواسطة هاتف محمول مفخخ بتدبير من «الشاباك» في كانون الثاني (يناير) 1996، وشريكه حسن سلامة الذي اعتقل في أيار (مايو) من نفس السنة في الخليل بعد مواجهة صدفية مع قوة من غولاني.

ومحيي الدين الشريف الذي قُتل في انفجار غامض في كراج في رام الله في نيسان (ابريل) 1998 في الفترة التي كانت فيها الصحافة تلتقط القصص حول «حوادث العمل» بكل سهولة. الأخوان عماد وعادل عوض الله قُتلا بنيران الوحدات الخاصة بعد ذلك بخمسة اشهر بقرب الخليل. هذا حدث بعد فترة وجيزة من هروب عماد من سجن جبريل الرجوب في أريحا. صحيفة فرنسية نشرت في حينه تقريرا بدا خياليا بعض الشيء وقالت فيه ان الهروب كان مفبركا. السلطة و«الشاباك» استغلاه من اجل وضع جهاز تعقب لعماد على أمل أن يوصلهم الى شقيقه عادل، ولكن من الذي كان يصدق الصحافة الفرنسية حينئذ؟.

بقي على قيد الحياة من خلفاء المهندس وقدامى الذراع العسكرية لحماس ابراهيم حامد في رام الله ومحمد ضيف في غزة. مع اندلاع الانتفاضة الثانية ساعد هذان الاثنان حماس التي قتلت الكثير من الاسرائيليين، في انتزاع الزعامة في الشارع من فتح. اذا كان محمد ضيف رمزا، فقد بقي ابراهيم حامد لغزا خفيا. حذره المتطرف لم يُتح «للشاباك» أن يقترب منه إلا بصعوبة بالغة. محمد ضيف في المقابل كان يُخلف آثارا من ورائه وقد نجا بأعجوبة من عدة محاولات لاغتياله. فك الارتباط هو الذي أنقذه من الموت في واقع الأمر. لم يعد لاسرائيل مبرر للمس به في ظل تجميد حماس لعملياتها. ولن يقوم أحد بتعريض حياة الجنود للخطر في غزة من اجل اعتقاله. ابراهيم حامد دفع في المقابل ثمن السهولة التي يتحرك فيها الجيش الاسرائيلي في الضفة. اربع ساعات فقط فصلت بين وصول المعلومات حول مكانه وبين ربط يديه بالأغلال.

عامي ايلون، رئيس «الشاباك» السابق، اعتبر اعتقال حامد أكبر انجاز «للشاباك» منذ اغتيال الأخوين عوض الله. وهذا كان حسب قوله نتيجة «لعمل النمل» الذي يشارك فيه عشرات المسؤولين المناطقيين في «الشاباك» وغيرهم من المسؤولين في المواقع الاخرى. «الشاباك» شعر بخيبة أمل معينة عند قتل الأخوين عوض الله لأن النية كانت تتجه الى اعتقالهما لانتزاع المعلومات منهما، ولكن تبين فيما بعد أنهما قد خلفا كنزا استخباريا في موقع الاختباء وأرشيفا للذراع العسكرية كان عادل يحتفظ به في اماكن ترحاله وتجواله.

التحقيق مع حامد ينطوي على طاقة ايجابية كامنة مضاعفة: هزوا المعتقل من اجل الحصول على معلومات منه، وربما وضع اليد على الوثائق التي يمتلكها. ليس كل المطلوبين الكبار يوافقون على التحدث في التحقيق دائما. من الاثنين اللذين اعتقلا مؤخرا في أريحا، واحد يتكلم والثاني صامت. المسؤول المالي فؤاد الشوبكي يتحدث، ايضا لان المخابرات تملك أدلة ضده وهي عبارة عن عشرة صناديق تحتوي على وثائق بتوقيع يده كانت قد ضُبطت في المقاطعة في 2002.

الأمين العام للجبهة الشعبية، احمد سعدات، يواصل صمته. «جئت الى السجن لكي آكل»، قال للمحققين. يبدو أن سياسته ناجعة. لائحة الاتهام التي قُدمت ضده قبل اسبوع لا تتضمن اتهاما مباشرا بقتل زئيفي.

هناك أمر واحد مشترك للثلاثة: ابراهيم حامد ايضا اختار تسليم نفسه بدلا من الموت. يبدو أن سحر نهج «لأموت في الكفاح ضد الاسرائيليين» يتبدد مع الارتفاع في الهيكلية التنظيمية. عوفر ديكل، نائب رئيس «الشاباك» حتى ما قبل سنة يقول إن كبار المطلوبين يلجأون الى اعتبارات مغايرة لتلك الموجودة لدى عناصرهم.

### 3 . بيرتس

عمير بيرتس زار قيادة المنطقة الوسطى في يوم الثلاثاء الماضي بعد ساعات من اعتقال ابراهيم حامد. بيرتس اختار في هذه المرة، خلافا للمحاولات السابقة المتلعثمة بعض الشيء، التي قام فيها ديوانه، بالتحدث عن مشاركته الشخصية في كل عملية ضد الفصائل الارهابية، اختار في هذه المرة ضبط نفسه. نصف ساعة مرت بين المؤتمر الصحافي الذي قدمه قائد الكتيبة حول العملية وبين لقاء عمير بيرتس مع الصحافيين. بيرتس اكتفى بالثناء المقتضب على قوات الأمن.

في الوقت الذي تسببت فيه تحذيرات زايلر بالقاء قنبلة كبيرة متكتكة بين وزير الأمن الداخلي ديختر وبين المفتش العام للشرطة، يتبين أن الأمور أهدأ بكثير على جبهة وزير الدفاع ورئيس هيئة الاركان. بيرتس ودان حلوتس الذي رافق وزير الدفاع في زيارته لقيادة المنطقة الوسطى في القدس، يحرصان جدا على تقديم الاحترام لبعضهما البعض. الزيارات التعلمية الكثيرة التي يقوم بها بيرتس مُجبرا نفسه على بذل جهد كبير، قد ارتدت صورة ثابتة: دلال واسع للجيش و«الشاباك»، وطرح موقف سياسي مركزي (مكافحة الارهاب، التسهيلات للفلسطينيين) وهجمات موجهة لجمهور المستوطنين. هناك شيء ما مثير في منظر الضباط الكبار الذين تعاونوا طوال سنوات كثيرة وتقبلوا كل نزوات مجلس «يشع»، وهم يصغون بأوجه متجهمة لعمير بيرتس الذي يوجه ضرباته للاستيطان.

بالمقارنة مع الواقع المعقد، الذي تنطوي عليه وظيفة وزير الدفاع ـ مواطنون فلسطينيون يُقتلون في عمليات هجومية فقدت زمام السيطرة، صاروخ في ساحة منزل في سدروت، تقليصات آتية على ميزانية الوزارة ـ يوفر المستوطنون لعمير بيرتس ارضا سهلة للعمل. بوعده في هذا الاسبوع بالاخلاء السريع للبؤر الاستيطانية، يكون بيرتس قد التف على رئيس الوزراء من اليسار. التوقيت أقل ملاءمة بالنسبة لاولمرت. اخلاء البؤر الاستيطانية سيقدم موعد التصادم مع المستوطنين في الوقت الذي يحاول فيه حشد التأييد في الداخل والخارج لخطة الانطواء. من المحتمل أن اولمرت كان يفضل التوصل الى اتفاق هادئ حول اخلاء بعض البؤر الاستيطانية بدل المصادمة العلنية ـ وهذه قد تكون النقطة التي تتصادم فيها مصالح بيرتس مع اولمرت.

الجبهة الاسرائيلية ـ الفلسطينية تحديدا تبرد في الوقت الحالي. عندما يكون الفلسطينيون مشغولين بالمصادمات الداخلية، يبدو ان اسرائيل ستختار عدم الزج بنفسها في هذا الحمام حتى وإن تواصل قصف الصواريخ على كيبوتس نتيف هعسرة وسدروت. رئيس هيئة الاركان استغل في هذا الاسبوع مشاركته في لجنة الخارجية والأمن في الكنيست حتى يعود لنفي وجود نوايا لديه في اجتياح قطاع غزة للتصدي لصواريخ القسام (من يقوم بالحث على القيام بعملية عسكرية كبيرة في القطاع هو «الشاباك» الذي يدعي أن هذا هو الحل الوحيد لاطلاق الصواريخ).

وما زالت القضية حتى الآن عاصية على الخروج من جدول الاعمال تماما. في هذا الاسبوع استُكملت في قيادة المنطقة الجنوبية مناورة على مستوى الفرقة. السيناريو: تصعيد يؤدي الى اجتياح بري كبير لقطاع غزة.

عاموس هرئيل
المراسل العسكري للصحيفة
(هآرتس) 2006/5/26

## عليه الان القلق من احتمال ان يقوم بوش باستقبال رئيس وزراء اسرائيلي آخر خلال فترة ولايته الحالية

# اولمرت كان يعتقد أنه سيسحر الامريكيين بخطة الانطواء لكنه فهم هناك أنهم غير مقتنعين بأنها ستضع حدا للنزاع

■ كانت ساعة واربعين دقيقة تاريخية لرئيس الوزراء ايهود اولمرت، التي جلس فيها مع الرئيس الامريكي جورج بوش في ذلك الاجتماع المنفرد، فقد جلس في المكان المعروف بـ «شرفة هاري ترومان»، وكم كان مسرورا لاجتيازه تلك التجربة الهامة، حيث نجح في ذلك الامتحان التاريخي، ووصل الى هناك كرئيس للوزراء وحاول قدر الامكان استغلال تلك اللحظات التاريخية خير استغلال، وظهر بمظهر الشخص الهام الذي يعرف معنى وقيمة تلك الدقائق، لذلك اجتاز اختبارها بنجاح كما يعتقد، مع أن اولمرت يعرف تماما أن ترومان عندما جلس هناك في يوم من الايام عرف كيف ينهي الحرب (الحرب العالمية الثانية) باستعمال القنبلة النووية التي ألقاها على اليابان، ليخرج منتصرا، بينما هو لا يستطيع فعل ذلك، لكنه ربما يريد من غيره أن يفعل ذلك، وقنبلته الوحيدة هي التي سيستعملها مع الفلسطينيين، واسمها «الانطواء».

لقد جلسا هناك وتحادثا مطولا، ووصف اولمرت المحادثة فيما بعد بأنها «محادثة اشتملت على كل شيء، تحدثنا عن كل المواضيع التي تهم العالم، وأنا أعتز كثيرا بالرئيس، هذا كان لقاء مذهلا، أنا أُقدر الرئيس كثيرا، وقد خرجت من ذلك اللقاء بشعور ممتاز للغاية».

لقد كانت تلك هي الزيارة الاولى لاولمرت، والاجتماع الاول من نوعه مع الرئيس بوش، الذي تُنسج فيه كيمياء العلاقة التي سيُبنى عليها الكثير مستقبلا، فقد كانت دقات الساعة الشهيرة تصل الى مسامع الجالسين في تلك الغرفة الوردية، كانت تدق قريبا حيث كان اعضاء الوفدين بانتظار انتهاء المحادثة الخاصة، الكل ينتظر، كونداليسا رايس وجماعتها، يورام توربوفيتش وجماعته، كلهم كانوا يعرفون أن مستقبل العلاقات بين الرجلين، بين الدولتين، يُرسم ويتحدد في تلك الغرفة، في ذلك الاجتماع، ومستقبل الشرق، ومستقبل السلام يجري رسمه في ذلك الوقت بين الرئيسين. لقد فعل الامريكيون كل ما يلزم لإنجاح ذلك، والطقس ساعدهم، إلا أن الحق يُقال أنه لا يتم لقاء كهذا، الاول من نوعه مع رئيس وزراء جديد يأتي الى واشنطن، إلا وتكون استعدادات اللقاء معه في ذروتها، إلا أن ذلك لا يُتوه أحدا عاقلا، فامريكا مثلها مثل اولمرت، لا تعرف متى سيأتي الصعب في هذه العلاقة.

صحيح أن الرئيس بوش قد فتح لاولمرت الباب، لكنه لم يسمح له بالدخول قبل أن يتعهد بشيء معين يريده منه، وحسب تعبيرات اولمرت فقد نجح باجتياز البدايات اللازمة للمشاركة في الموندیال، ولكنه يعرف انه قد يتلقى الصدمة منذ المباراة الاولى، ولا يصعد الى أي مباراة اخرى. فأفكار رئيس الوزراء كما وصفها بوش «جريئة» و«قيّمة»، لكنه لم يصفها بأنها «حكيمة» أو «صحيحة» أو «مناسبة للمنطقة».

فالجندي الذي يقفز من الطائرة في الظلام يعتبر «جريئا»، ومن يعرف الامريكيين يفهم أنهم لم يعتادوا أن يقولوا لأحد قدم أفكارا بأن أفكاره «غبية».

اذا ما قال لك الامريكيون أن أفكارك «مهمة»، عليك أن تفهم بأن لديك مشكلة، واذا قالوا لك بأن أفكارك «جريئة»، فاعلم أنك أنت واقتراحاتك في مشكلة. اذا فقد فهم اولمرت (واذا لم يفهم فانه في مشكلة كبيرة)، بأن ما كان يحلم به من اقناع سريع للرئيس ولواشنطن، لم يُثمر ولم يقنع الرئيس بشيء. يجب على اولمرت أن يتنازل عن واحد من طرفي العصا التي يمسك بها، فإما أن يتنازل عن المستوطنين وإما أن يتنازل عن الامريكيين وبقية العالم. فاذا حرك الجدار باتجاه الشرق، كما سبق ووعد بذلك، واذا لم يحركه وقربه كثيرا نحو الغرب، فانه لا بد له أن ينسى ذلك التأييد العالمي الذي يريده، حتى لو اخترع كل الأسماء التي يريد استعمالها. عندما قال الرئيس بوش «كلانا يؤيد» فقد قصد «السلام»، ولم يقصد اقتراحات اولمرت. هكذا الآن.

لم يكن سهلا على اولمرت أن يحصل على القليل مما حصل عليه من الرئيس، فاذا سألنا دوف فايسغلاس، فسيقول إن مصطلحات «جريئة» و«كلانا يؤيد» قد وُلدت وتبلورت في ثلاثة اجتماعات سبق وأن عقدت بينه وبين إليوت أبرامز وطاقمه في بروكسيل ولندن والقدس، التي مهدت للزيارة. وهذا يعني أن كل كلمة ومصطلح كانت مُرتبة ومُعدة جيدا من قبل الامريكيين، وقبل أن يستمع الرئيس الى اقتراحات اولمرت. اذا، فقد كانت مدروسة ومفهومة ولم يفاجأ بها بوش عندما طرحها اولمرت. فالادارة الامريكية تريد أن تصل الى السلام، وأفكار اولمرت اذا تماثلت مع السياسة الامريكية ورغبة العالم، فانه يمكن استثمارها وتطويرها، وبذلك فان الاوضاع تكون أفضل مما لو كان موقف رئيس الوزراء يعارض الانسحاب مثلا، أو عدم الدخول في مفاوضات بصورة نهائية.

لقد سبق ذلك الاجتماع، عقد اجتماع ثنائي، حسب طلب اولمرت، في الليلة السابقة مع وزيرة الخارجية رايس، حيث تم الاتفاق على تسمية اقتراحات اولمرت بأنها «خيارات»، أو «جهود»، ومنذ تلك اللحظة بدأت علامات الفشل تظهر هناك، لأن اولمرت كان يعتقد أن «اقتراحاته» لا بد أن تكون مقبولة، وأن لا يتم الحديث إلا وفق ما صاغه هو. وحسب تلك الروايات، فان اولمرت، حتى عشية اللقاء مع بوش، لم يكن بيده أي شيء، وما كان يعتقد أنه جدي ومهم، لم يتمخض عن أي شيء هام، لا سيما عندما أبلغهم هندلي بأن الرئيس لن يكون مستعدا إلا للتفكير والحديث عن السلام، كما يفهمه هو وكما يريده، لا كما يعتقد رئيس الوزراء. وحيث أن هندلي المعروف بأنه هو الذي سبق له وأن كتب رسائل وأحاديث الرئيس بوش بشأن الشرق الاوسط منذ زيارة شارون لواشنطن، فانه يعرف تماما ما يريده الرئيس، وقد أبلغ بدوره الوزيرة رايس بأن الرئيس لن يوافق على قبول تسمية اولمرت للانطواء «اقتراحات»، بل يمكن أن ينظر اليها كـ «خيارات ممكنة» أو «أفكار جيدة» في حالة ما يكون سائدا في العالم، وفي الشرق الاوسط، لأن من يعتقد بصواب خطه وتفكيره، لا بد له وأن يُصحح مسار تفكيره مع مسار تفكير الرئيس.

### طريقة اولمرت

يمكن اعتبار أن هذه البداية، أن نبدأ بتعلم وفهم طريقة عمل اولمرت وبماذا تختلف عن اسلوب شارون. هو يرغب في عمل الاشياء بمفرده، ويعتمد على نفسه فقط، يعرف كل شيء، ويفهم أفضل من الجميع. اولمرت هو شخص جيد وأهل لكل شيء، ولكن من الناحية الثانية، هو لا يستطيع أن يقوم بكل شيء بنفسه. فشارون لم يعمل كثيرا، لكن رجاله هم من فعل له الكثير، وقد حافظ عليهم واحتفظ لنفسه بالطاقة اللازمة للامور بالغة الأهمية، وللقرارات المصيرية. فاذا أراد اولمرت وضع قدميه في كل عملية، فانه يتوجب عليه معرفة كل الامور. واضافة الى ذلك فانه يجب اعادة ترتيب كل شيء من حوله.

التوتر بين فايسغلاس وتوربوفيتش ظاهر للعيان، هناك ثلاث مجموعات تحيط برئيس الوزراء: اولئك الذين كانوا يصحبون شارون، والذين بدأوا يصحبون اولمرت، وغيرهم ممن جاؤوا من اماكن لا علاقة لها بالمجموعتين. لكن الأمر المهم في هذا السياق هو ما حاول اولمرت نفسه، بواسطة هذه المجموعات المقربة منه، أن يوضحه وينقله للامريكيين، بأنه ولاول مرة في تاريخ اسرائيل، تتبلور موافقة شبه جماعية في اسرائيل تقول «يكفي للاحتلال»، ولكن هذا الموقف الذي يجب أن يُستثمر الآن، عن طريق الموافقة الامريكية عليه، يجب أن يكون بالطريقة الاسرائيلية فقط، وهذا ما كان اولمرت يعتقد أنه قادر على تمريره عند الامريكيين، ولكنه فهم منذ اجتماع الطواقم، وبعد اجتماعه مع وزيرة الخارجية، بأنه لن يحصل على أكثر من الموافقة الفضفاضة على أفكاره، لكنهم لن يُعطوه الموافقة التي كان يحلم بها واعتقد أنهم سيمنحونها له. ومع أن اولمرت حاول اقناع الامريكيين بجهده وجرأته وثقته بنفسه، أنه يستطيع الحصول على موافقة وتأييد العالم لهذه الأفكار، وبأنه يستطيع أن يضمن موافقة الأطراف المهمة على أفكاره، فان جهوده لم تبلغ المكانة التي فكر بها أو التي اعتقدها بأن العالم سيتقبلها بلهفة. وقد حاول التلميح بأن ما يفكر به قد تم مناقشته وعرضه على الملك الاردني، عبد الله، وأن الملك يوافق على الخطوط العامة لأفكاره، إلا أن الامريكيين المطلعين جيدا على موقف الاردن، وموقف الملك، يعرفون أن موافقة الملك بعيدة كل البُعد عن جوهر أفكار اولمرت، لأن حلا لا يقوم على الانسحاب الى حدود حزيران (يونيو) 1967 لن يصمد، ولن يكون بامكان الاردن أن يدافع عنه، هذا اذا لم يشكل مشكلة صعبة بالنسبة اليهم.

### تهديدات نتنياهو

لقد بقي الموضوع الايراني. هناك دبلوماسي مخضرم يعرف منطقة الشرق الاوسط جيدا (سبق له أن خدم في المنطقة عدة مرات)، نصح اولمرت بأن لا يبالغ في الموضوع الايراني، وأن لا يبدأ بنعي الرئيس بوش (مدة ولايته ستنتهي بعد أكثر من سنتين)، لأن بوش «قوي، مصر على موقفه، مؤمن برسالته، ولن تكون لديه مشكلة في أن يفعل ما يجب عليه فعله. فقد سبق له وأن تعهد بأن ايران لن تكون نووية في عهده، لذلك اذا لم تكن لديه خيارات، فانه سيستخدم القوة».

بعد انتهاء اجتماع اولمرت ـ بوش، لاحظنا أن اولمرت حرص على تكرار عبارة «لقد خرجت مرتاحا جدا بعد اجتماعي مع الرئيس، وما سمعته منه بخصوص الموضوع الايراني»، ماذا سمع؟ لم يسمع إلا ما سبق للدبلوماسي الامريكي أن قاله. أي أن الرئيس بوش لا ينوي أبدا السماح لايران بأن تصبح دولة نووية في عهده. واذا لم تنجح الجهود المبذولة في مجلس الأمن الدولي، فانه سيسير قُدما في الموضوع، فقد وضع لنفسه جدولا زمنيا لن يتخطاه في مجلس الأمن، يمكنه الانتظار فقط 3 ـ 4 اسابيع، وبعدها فانه سيجمع الاوروبين واليابانيين من اجل «خنق ايران» اقتصاديا.

بذلك، فان اولمرت يعود الى اسرائيل مرتاحا ومسرورا، حيث وصف أحد كبار موظفي البيت الابيض زيارته بأنها بداية لقصة علاقة جيدة بين الرجلين، فقد عادا من اجتماعهما المغلق الى مائدة العشاء يسيران يدا بيد، ولا تخفى العبارة التي قالها اولمرت للرئيس في كلمته بعد الاجتماع على أحد، حيث وجه له جملة «هيا لندخل التاريخ سوية»، وأضاف «ان خطتي سوف تعمل على إبعاد النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني عن عناوين الأخبار، وتضع حدا للاحتلال، وتمنع الاحتكاك. وهذا سيكون انجازك وانجازي. فهذا هو طريق اريئيل شارون، وأنا أريد إكماله».

ولكن، على عكس سلفه، فانه لا يقوى مع الامريكيين على أن يخيف «بيبي»، لأن شارون كان يقول دائما بأنه اذا ما فشل، فان نتنياهو سيكون واقفا بالدور. ولكن ليس واضحا الآن من يقف في الدور. فهذا هو وقت اولمرت، وخطة الانطواء الخاصة به، وعلى صورتها الأصلية فانها لن تُنفذ، ولن تحدث. فقد تحدث عن «الانطواء» يتم في عام 2007، وبعد ذلك تحدث عن انطواء خلال سنتين، وهذا الاسبوع تحدث في واشنطن عن انطواء خلال اربع الى خمس سنوات. هذا يعني بأن ذلك سيتم خلال ولاية الرئيس الامريكي القادم. وما على اولمرت الآن إلا أن يهتم ويقلق، بل ويخاف، من احتمال ان يكون هناك وضع يقوم فيه الرئيس الامريكي بوش باستقبال رئيس وزراء اسرائيلي آخر في واشنطن، خلال ولايته الحالية.

بن كاسبيت
كاتب رئيسي في الصحيفة
(معاريف) 2006/5/26

## سلسلة الفشل التي منيت بها الاستخبارات الامريكية افقدتها ثقة شعبها

# الولايات المتحدة في حربها ضد العراق تمر بمرحلة تشبه حالتها اثناء الحرب الفيتنامية

■ الاستراتيجي العسكري الفيتنامي «نغوين جياب» سبق وان قال خلال مراحل الحرب الفيتنامية الخطيرة، «بأن الحرب ستحسم بين الدولتين على شاشات التلفزيون الامريكي»، وهذا ما حصل فعلا، وعلى نحو كبير. فحسم الحرب لم يتم ـ فقط ـ في حقول الارز الفيتنامية، بل حسمت في واشنطن. ومن شاهد أمريكا في تلك الاثناء، من الصعب عليه ان يتنبأ، بأنه توجد علامات شبيهة بذلك الوضع في العاصمة الامريكية هذه الايام.

يدور الحديث الان عن الحرب في العراق، وان واشنطن تسير على خطى الهزيمة في العراق. مثل هذه النتيجة ليست بالضرورة مرتبطة تماما بطبيعة وحجم ما يجري في ارض المعركة وفي ارض العمليات العسكرية بصورة مباشرة. فقد يكون هناك ظرف تجري فيه المعارك في ساحة القتال لصالح طرف، ولكن في العمق، في العاصمة توجد حالة من التدهور النفسي، وهذا هو ما يجري هذه الايام.

هناك حالة من الشلل والاعاقة العامة تسود العاصمة الامريكية واشنطن في هذه الايام تشبه تلك التي سادت اثناء الحرب الفيتنامية، حيث كان الالاف من الشبان يفرون من الخدمة العسكرية، ولكن الان، فان ظاهرة جديدة اخرى تحدث وهي انه من الخدمة الفعلية في العراق خرجت الانتقادات الحادة على اداة هذه الحرب وعلى كيفية خوضها، وان هذه الانتقادات وصلت الى درجة المطالبة باستقالة وزير الدفاع (رونالد رامسفيلد) من منصبه. فلم تحدث في يوم من الايام مثل هذه الحالة من الغضب في ميدان المعارك، من المستوى العسكري ضد المستوى السياسي.

والحرب الفيتنامية يأتي ذكرها في سياق آخر ايضا. فهناك، في البيت الابيض، يحذرون من ان تكون حالة كتلك التي حدثت في الحرب الفيتنامية، حين اعتقدت الولايات المتحدة وقدرت ان هناك تقدما ونجاحا في ميدان القتال، الامر الذي يقوي النظام ـ التابع بها ـ في فيتنام الجنوبية (سايغون)، وفجأة قامت قوات الفيتكونغ بانزال ضربة قوية على كل الدولة الجنوبية، والتي عرفت في حينه بـ «هجوم تات» حيث ضربوا حوالي 100 مدينة في نفس الوقت، بما فيها سايغون العاصمة، والسفارة الامريكية فيها. ومع أنه تم صد الهجوم في معظم المدن الفيتنامية الجنوبية، الا ان الاحساس داخل الولايات المتحدة وفي العالم كله كان يشير الى توجه ومنحى جديد يؤدي سلبا الى الهزيمة لجنوب فيتنام والولايات المتحدة على حد سواء. فهل يمكن لقصة خطيرة وقاسية كهذه ان تحدث وتتكرر في العراق، بما في ذلك المنطقة التي تسيطر فيها القوات البريطانية؟

الخبراء العسكريون في واشنطن يقولون بأن الشهرين القادمين في العراق سيكونان حاسمين وانه يجب الانتباه والحذر من المفاجآت.

وحين يدور الحديث عن المفاجآت، فان ذلك يعني قبل كل شيء فقدان الثقة بالاستخبارات. فالمخابرات الامريكية، وبكل افرعها وأذرعها اجتازت عدة أزمات قاسية في اعقاب سلسلة من الفشل لعدم تمكنها من معرفة وتقدير اين ستكون ضربة القاعدة قبل أن تُصاب فيها أبراج التجارة العالمية في نيويورك، والتي أوقعت خسائر فادحة أكبر من تلك التي تحملها الامريكيون عندما هاجمتهم اليابان في بيرل هاربر في بداية الحرب العالمية. وبعد ذلك، كان الفشل الاستخباري في عدم العثور على اسلحة دمار شامل في العراق، بل وحتى عدم معرفة مصدر ارسال مغلفات «الانتراكس» في الولايات المتحدة، وحتى الآن في عدم الكشف عن مكان اختباء اسامة بن لادن.

ورغم اعادة تنظيم وهيكلة جهاز الاستخبارات على نحو واسع ومتشعب، الا ان جو عدم الثقة بهذه الاجهزة ما زال موجودا وسائدا في الولايات المتحدة، وسيُحتاج الى زمن طويل قبل أن تعود هذه الثقة لهذه الاجهزة الاستخبارية وتلاشي هذا الاحساس. لذلك فقد أُضيفت المشكلة الأخيرة الى سلسلة فشلها، وذلك عندما أرادت الادارة الامريكية اعطاء شركة استثمارية من دبي حق الاشراف الأمني على عدد من الموانئ الامريكية، ولم يتم الغاء ذلك الاتفاق إلا بسبب ضغوطات عامة وُجهت للادارة هناك.

وفي المقابل، فان قضية جديدة بدأت تأخذ أبعادها في واشنطن خلال الاسابيع الأخيرة، التي بموجبها قام الرئيس بوش عن عمد بتسريب معلومات سرية حتى يعود ويستخدمها من اجل تبرير قراره بغزو العراق، وفي نفس الوقت فان تحقيقا ومحاكمة يجريان حاليا ضد مستشار نائب الرئيس الذي أرغم على تقديم استقالته بسبب تسريب اسم عميلة الـ (سي.آي.ايه) للصحافة، وهذه القضية ايضا مرتبطة بحرب العراق، مجموعة الشخصيات المعروفة باسم «الاصلاحيين الجدد» وعلى رأسهم «بول وولفوفيتز» الذي شغل منصب نائب وزير الدفاع، قد غرقت بصورة فعلية. وبالمقابل تشكلت مجموعة جديدة من اعضاء في الكونغرس من الذين يطالبون بـ «الانسحاب الان» دون الاخذ بالحسبان ماذا سيكون تأثير ذلك على الشرق الاوسط بصورة عامة وعلى مكانة الولايات المتحدة بصورة خاصة. فهذه ليست حالة دولة تخوض حربا وتريد الانتصار فيها: بل ان ما يدور الان هو شعب (وليست دولة) يخوض حربا ولا يعرف كيف سينجو منها.

زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) 2006/5/26

# على اسرائيل أن تبدأ الانطواء باتجاه الخط الاخضر لتقليص الارض المحتلة وتقليل السيطرة على الفلسطينيين

■ خطة الانطواء، التي ذهب بها ايهود اولمرت الى الانتخابات وحظيت بثقة الجمهور الاسرائيلي، تلقت هذا الاسبوع تعزيزا من الرئيس الامريكي ايضا. يتبين ان التأبينات التي انطلقت في الاسابيع الاخيرة من اليمين ومن اليسار كانت سابقة لأوانها. فمحاولة تأجيل اخلاء المستوطنات لعدة سنوات اخرى لترسيخ السيطرة الاسرائيلية في الضفة او بالبحث عن شريك للاتفاق تذكرنا بالايام التي انسحبت فيها اسرائيل من لبنان، ولكنها تمسكت بالحزام الأمني وكأنه غنيمة كبرى، والذي هو الاخر اخلته بعد سفك متواصل للدماء.

على اسرائيل أن تبدأ الانطواء باتجاه الخط الاخضر، وكلما كان هذا أبكر كان أفضل. عليها أن تفعل ذلك ليس لان الامريكيين يوافقون عليه وليس لانه لا يوجد شريك في الجانب الفلسطيني للانسحاب بالاتفاق، بل لان المصلحة الاسرائيلية الواضحة والفورية هي التقليص أكثر فأكثر للاحتلال وللسيطرة على حياة الفلسطينيين وخلق الشروط المسبقة لاقامة دولة فلسطينية محررة من الوجود الاسرائيلي.

اذا كانت اغلبية كبيرة من الاسرائيليين والفلسطينيين في الجانبين توافق منذ الان على حل دولتين تعيشان جنبا الى جنب، فانه حتى لو لم يتفق على الحدود وعلى الشروط في الوقت القريب القادم، فثمة جدوى من تقصير خطوط المواجهة والاحتكاك، اعادة المستوطنين الى داخل حدود 1967، اخراج قوات الجيش الاسرائيلي من أرجاء الضفة، تحديد مسار الجدار على أقرب مسافة ممكنة من الخط الاخضر وتقليل حجوم الاحتلال الى الحد الادنى. عمير بيرتس تعهد لناخبيه بازالة المواقع الاستيطانية في أقرب وقت ممكن، وتعيينه وزيرا للدفاع يتيح له العمل بشكل عملي على حث هذه الخطوة. وحتى لو لم يكن الامريكيون يطالبون باخلاء فوري للمواقع الاستيطانية، فان سكان المواقع اصبحوا مصدر قلق أمني وأخلاقي على اسرائيل ان تحله، كما أن الخطوة ستلمح للمستوطنين الاخرين بأن ولاية هذه الحكومة هي ولاية اخلاءات. الجنود الذين يرافقون الاطفال الفلسطينيين الى المدرسة لحمايتهم من سكان موقع مزرعة ماعون الاستيطاني لن يضطروا الى التعرض للاهانة في عمل ميداني من هذا النوع، لو أن الموقع غير القانوني قد اختفى. هذه خطوة اولى ولازمة لخطوة الانطواء.

أما بالنسبة للكتل الاستيطانية الكبرى والقريبة من الخط، فسواء اولمرت ام الرئيس بوش كانا حذرين من عدم الانجرار للحديث المفصل عن حجمها المستقبلي. هذه الكتل غير مقبولة، لا في واشنطن ولا في العالم بأسره، كحقيقة ناجزة. كل توسيع آخر لها الان، فيما تستعد اسرائيل أخيرا الى انهاء الاحتلال، سيكون بمثابة تحد فظ للامريكيين، والفلسطينيين والاسرة الدولة.

السلوك الحكيم والمتزن لاولمرت يمكنه أن يحقق قبول هذه الكتل كحل مؤقت معقول والعمل على ادراجها في اطار الاتفاق النهائي ـ ربما في ظل تبادل للمناطق ـ بين اسرائيل والفلسطينيين على الحدود الدائمة.

أسرة التحرير
(هآرتس) 2006/5/26